سلسلةُ :

الطَّرِيقِ المُخْتَصَرِ إلى دارِ السَّلام [٦]

خلاصة البيان

في صفات

عباد الرحمن

إعداد وتعليق فضيلة الشيخ

سعد يوسف محمود أبو عزيز

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ وَكَفَى ، وَسَلامٌ على عِبَادِهِ الَّذِينَ اْصْطَفَى

وَبعْدُ :

فهذه هي الرسالة " السادسة " ضمن سلسلة : " الطريق المختصر إلى دار السلام " ، جعلنا الله وإيّاكم من أهلها .

وهي بعنوان : " خلاصة البيان في صفات عباد الرحمن " ، جعلنا الله وإياكم منهم .

أخي الحبيب :

وصف اللهُ – تعالى – " عبادَ الرحمن " بتسعِ صِفَاتٍ [1] ، استحقّوا بها أعلى منازل الجنة .

---

(١) كما ذكر الرازي – رحمه الله – ؛ وقال القرطبيُّ – رحمه الله – : " بإحدى عشرة صفة " ؛ وسيأتي تفصيل ذلك في ثنايا الرسالة – إن شاء الله تعالى – .

قال الإمامُ ابْنُ القيِّم - رحمه الله تعالى - في " بدائع الفوائد " (٢/ ١٥٨) : " مدح اللهُ عبادَه الذين ذَكَرَهم في هذه الآيات [١] بأحسن أوصافهم وأعمالهم " ا.هـ

فَحَريٌّ بالمسلمين - جميعاً - أن يَتّصفوا بهذه الصِّفات - رجالاً كانوا أو نساءً - لينالوا - في الآخرة - أعلى الدرجات ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله .

هذا ، وقد جمعتُ مادّة هذه الرسالة من بطون أمّهاتِ كتب التفاسير ، وغيرها ، ثم اختصرتُ ما نقلت وَرتّبتُ ما كَتَبْتُ ؛ وتَوخّيتُ سهولةَ العبارة ؛ تَيسيراً على القارئ - الحبيب - وتوفيراً لجهده ووقته ؛ سائلاً المولى - تبارك وتعالى - السّداد .

كتبه / سعد يوسف محمود أبو عزيز

(١) يعني : آيات أواخر سورة " الفرقان " ، وسيأتي ذكرها بعد قليل - إن شاء الله - .

صفاتُ عبادِ الرَّحْمَن

يَا تُرَى منْ هؤلاءِ السُّعَداءِ الذين أضافهم اللهُ – تعالى – إلى نفسه الكريمة إضافة تَشريف ؟ .

الجواب : هم المذكورون في قوله – تعالى – : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ

الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) ﴾ [الفرقان ٦٣ : ٧٦]

وقفات مع قوله تعالى : " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ "

قال القرطبيُّ – رحمه الله – في " تفسيره " (١٣/ ٦٧) : قولُه تعالى : " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ " : أضافهم إلى عبوديته تشريفاً لهم ، كما قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء:١] ؛ فَمَنْ أَطَاع اللهَ وَعَبَده ، وَشَغَلَ سَمْعَه وَبَصَره ، وَلِسَانَه وَقَلْبَه بما أَمَرَه ، فهو الذي يَسْتَحِقُّ اسْمَ العبودية ، ومن كان بِعَكْسِ هذا شَمِلَهُ قولُه تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ الآية [الأعراف:١٧٩] يعني : في عَدَمِ الاعْتِبار " انتهى كلامه .

وقال البغويُّ - رحمه الله - في " مَعالم التَنزيل " (٩٣١) : " قولُه تعالى : " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ " يعني : أفاضل العباد . وقيل : هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل ، وإلّا فالخلق كلُّهم عباد الله " انتهى كلامه .

وقال البيضاويُّ - رحمه الله - في " أنوار التنزيل ، وأسرار التأويل " (٢/ ١٩٣) : " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ " مبتدأ ، وَخَبَرُهُ " أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ " أو " الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا " وإضافَتُهم إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل ، أو لأنهم الراسخون في عبادته " انتهى كلامه .

أخي الحبيب :

وعبادةُ اللهِ وحدَهُ هيَ الغايةُ التِي لأجلِهَا خَلَقَنَا اللهُ تَعالى ، قالَ سُبحانهُ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦] ، والعبادةُ كَما عرَّفَها شيخُ الإسلامِ - رحمهُ اللهُ تَعالى - : هيَ كلُّ مَا يُحبهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الأقوالِ والأعمالِ البَاطنةِ والظاهِرة .

وزادَ بعضُهُم قَيداً فقالَ : والبَراءةُ مِمَّا يُنافِي ذلكَ ويضادُّهُ ؛ فكلُّ مَا يُحبُّهُ اللهُ ويرضَاهُ منَ الأقوالِ والأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ عبادةٌ لله ربِّ العَالمينَ .

فالصَّلاَةُ ، والزَّكَاةُ ، والصِّيَامُ ، والحُجُّ ، وصِدْقُ الحَديثِ ، وأداءُ الأمانةِ ، وبِرُّ الوالدين ، وصِلَةُ الرَّحمِ ، والوفاءُ بالعهودِ ، والأمرُ بالمعروفِ ، والنهيُ عن المنكرِ ، والجِْهَادُ للكفَّار والمنافقين ، والإحسانُ إلى الجَارِ واليتيمِ والمسكينِ وابنِ السَّبيلِ والمملوكِ من الآدميين والبهائمِ ، والدعاءُ ، والذِّكرُ ، والقراءةُ ، وأمثالُ ذلك من العبادةِ .

وكذلك حُبُّ اللهِ ورسولِهِ ، وخشيةُ اللهِ ، والإِنَابَةُ إِلَيْهِ ، وإِخلَاصُ الدِّينِ لَهُ ، والصبرُ لِحُكمِهِ ، والشكرُ لِنِعَمِهِ ، والرِّضَا بقضائِهِ ، والتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ ، والرَّجَاءُ لرحمَتِهِ ، والخَوفُ من عذابِهِ ، وأمثالُ ذَلِكَ هي مِن العبادةِ لله .

وعَليهِ ؛ فالعبادةُ في ديننا الحَنيفِ تشمَلُ حركةَ الحياةِ كلِّها ، وتنتظمُ كلَّ شئونِ الحَياةِ ، والمَوَفَّقونَ المُلْهَمُونَ الفَالِحونَ المفلِحونَ تتحولُ العاداتُ عندَهم بالرعَايةِ والنظرِ والنِّيَّةِ إلى عباداتٍ ؛ وأمَّا المفرِّطونَ الذَّاهلونَ الغَافلونَ فإنَّهم تتحولُ عندَهُم العبادَاتُ إلى عاداتٍ ، فيُصَلِّي المَرْءُ منهم ما شَاءَ ربُّنا أن يُصَلِّي وكأَنَّهُ مَا صنعَ شيئاً .

هذا ، وقد عَرَّف الشيخُ محمّد بن عبد الوهّاب – رحمه الله تعالى – العبادةَ بتعريفٍ جَامِعٍ عظيم ؛ فقال : " فإن قيلَ : فما الجامعُ لعبادةِ اللهِ وَحْدَه ؟ قلتُ : طاعتُه بامتثالِ أوامرِه ، واجْتنابِ نَوَاهِيه " ا.هـ.

والعبادةُ في الأَصْلِ : مأخوذةٌ من التعبّد ، يُقالُ : طريقٌ مُعَبَّدٌ ، إذا كان قد ذلَّلتْه الأَقْدَامُ وَوَطِئَتْهُ ؛ وكذلك العابدُ مع معبودِهِ يكون مُذلَّلاً بِمُطْلَقِ الذُّلِّ في مُطْلَقِ الحُبِّ وهي العبادة .

ولَهَا قُطبَانِ عليهما تدورُ ؛ وهُمَا : كمالُ الحُبِّ في كَمَالِ الذُّلِّ ، كما قال العلامةُ ابنُ القيِّمِ – رحمهُ الله تعالى – في الكافيةِ الشافيةِ :

وعبادةُ الرَّحْمَن غايةُ حُبِّهِ ... مَعْ ذُلِّ عَابدِهِ هُمَا قُطبَانِ
وعَليهِمَا فَلكُ العبَادَةِ دَائِرٌ ... مَا دَارَ حتَّى قامتِ القُطبَانِ
ومَدَارُهُ بالأمْرِ أمْرِ رَسُولِهِ ... لا بالهَوَى والنَّفْسِ والشَّيطَانِ

وَعَليهِما ؛ أي : عَلى الحُبِّ والذُّلِّ ؛ فإنَّ العبادَةَ هيَ كمالُ الحُبِّ في كَمال الذُّلِّ ؛ هيَ غايةُ الحُبِّ معَ غَايةِ الذُّلِّ ؛ فمن أحبَّ شَيئاً ولَم يذِلَّ لهُ لَمْ يكُن لهُ عَابداً ، ومَن ذلَّ لهُ ولَم يُحِبُّهُ لم يكن لهُ عَابداً حتَّى يجمعَ الأمرَين ؛ فإذَا أتى بالمَحَبَّةِ التامةِ الكاملةِ والذلِّ الكامِلِ التامِّ فهُو العابدُ حَقّاً .

أخي الحبيب :

وبعد هذا التعريف المهم " للعبادة " ، نَشْرَعُ في بيان : " صفاتِ عبادِ الرَّحْمَن " جعلني اللهُ وإيّاكم منهم بمنِّه وكرمه .

الصفة الأولى

﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾

الهَوْن : مَشْيُ الرَّجُلِ بسَجِيَّتِه التي جُبِلَ عليها ، لا يَتكلَّفُ ولا يَتَبَخْتَر .

قال الإمامُ ابْنُ عَطيَّة – رحمه الله – في " المحرَّر الوجيز " (٤/ ٢٤٩) : " وقولُه تعالى : " الَّذِينَ يَمْشُونَ " خبر ابتداء ، والمعنى : وَعِبَادُه حَقّ عباده هم الذين يَمْشُون على الأرض هَوْناً " .

فالمـــراد : أنهم يَمْشُون بسكينةٍ وتواضـع ووقـــار ، دون تَكَـبُّرٍ ولا تَجَبُّر .

وليس المراد : أنهم يمشون كالمَرْضَى تَصَـنُّعَاً ورِيـاءً ، وإنَّـما بعـزّةٍ وأنفةٍ هي عزّةُ المؤمن المتواضِع لله وحده ، فقد كان النبيُّ ﷺ سـيِّد ولد آدم إذا مَشـــى كـأنَّما يَـنْحَطُّ مِـنْ صَـبَب [١] ، وَكَـأنَّما الأرضُ تُطْوَى له.

قال ابن عطية – رحمه الله – : " والمـراد : أن تكـونَ أَخْـلاقُ ذلـك الماشي هَوْناً ، مُنَاسبة لِمَشْيهِ ، وأما أن يكون المراد صفةُ المشي وَحْدَه فباطلٌ ، لأنه رُبَّ ماشٍ هَوْناً رُوَيْدَاً وهو ذِئْبٌ أَطْلَس [٢].

قال الحسنُ – عن هذا الصِّنف من الناس – : " إن أقواماً جَعَلُوا الكِبْرَ في قلوبِهم ، والتواضعَ في ثِيَابِهِم !! " [٣]. ا.هـ.

---

(١) الصببُ : ما انحدرَ من الأرضِ .

(٢) ذو اللون الأغبر الضَّارِب إلى السَّواد ، وهو أخبث أنواع الذئاب .

(٣) " التواضع " لابن أبي الدنيا (٩٠) .

فيا أخا الإسلام :

تَواضَعْ تكن كـالنَّجْم لاَحَ لنـاظِرٍ على صَـفْحَاتِ المـاءِ وهـو رَفيـعُ
ولا تَـكُ كالـدُّخَانِ يَعْلُـو بِنَفْسِـهِ إلى طبقـاتِ الجـوِّ وَهـو وَضِـيعُ (١)

وأنت أيها المتكبِّر ؛ انْكَسِرْ لمولاك :

ولا تَمْشِ فَوْقَ الأرض إلّا تَواضُعاً فكم تحتِها قَـوْمٌ هـم مِنْـكَ أَرْفَـعُ
فـإن كنـتَ في عِـزٍّ وَحِـرْزٍ وَمَنْعَـةٍ فكم ماتَ مِنْ قومٍ هم مِنْكَ أَمْنَـعُ (٢)

قال الإمام المـاوَرديّ – رحمه الله – : " الكِبْرُ والعُجْبُ يَسْلُبَان الفضائِلَ ، ويُكْسِبَان الرذائل ؛ وليس لمن اسْتَوْلَيَا عليه : إصْغاءٌ لِنُصْحٍ ؛ ولا قَبُولٌ لِتأدِيبٍ " .

---

(١) " جواهر الأدب " للهاشمي (٧١٣) .
(٢) " روضة العقلاء " للبستي (٩٤) ، ونسبها إلى الكريزي .

الصفة الثانية

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾

قال مجاهد : معنى : " سَلَامًا " : سَدَاداً ؛ أي : يقول للجاهل كلاماً يَدْفَعُه به ، بِرِفْقٍ ولين .

وقال القرطبيّ – رحمه الله – : " وقد اتَّفَقَ النّاسُ على أنّ السفيه – من المؤمنينَ – إذا جَفَاك يجوز أن تقول له : سلامٌ عليك " ا.هـ.

وقال أبو السعود في " تفسيره " (٥/ ٢٥) : " قالوا سلاماً " بيانٌ لحالِهم في المعاملةِ مع غَيْرِهم ، إثر بيانِ حالِهم في أنفسهم " ا.هـ.

وقال ابْنُ القَيِّم – رحمه الله – في " الجواب الكافي " (٢٤٤) : " فَوَصَفَهم بالاستقامةِ في لفظاتهم وخطواتهم " .

وقال محمد بن الحَنَفِيَّة – رحمه الله – : " أصحابُ وقارٍ وَعِفَّةٍ لا يسفهون ، وإن سُفِه عليهم حَلُمُوا " (١) .

وقالَ الحسنُ البَصرِيُّ – رحمه الله تعالى – : " قالوا : سَلامٌ عليكم : إن

---

(١) " تفسير البغوي " (٩٣١) .

جُهِلَ عليهم حلموا ، يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون " .

فهاتَان صِفَتَان بينهم وبين الناس وهما : تَركُ الإيذاء ، وَتَحمُّل الأذَى [١]

أخي المسلم : هذه أقوالُ العلماء في هذه الصفة ؛ أمّا أحوالُهم ، فَحَدِّث عنها ولا حَرَج ؛ فمن ذلك :

(١) عن أبي هريرة ﷺ أنه قال : إنّ رجلاً قال : يا رسولَ الله ، إن لي قَرَابةً ، أَصِلُهُم وَيَقْطَعُوني ، وَأُحْسِنُ إليهم وَيُسيئُون إليَّ ، وأحْلُمُ عنهم وَيَجْهَلُون عَليَّ ، فقال : " لئن كنتَ كما قُلْتَ ، فكأنَّما تُسِفُّهم المَلَّ [٢] ، ولا يَزَال مَعَك من اللهِ ظهيرٌ عليهم [٣] ما دُمْتَ على ذلك [٤] " .

قال النوويُّ – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث – : " قولُه : " ويَجْهَلُون " أي : يُسيئُون ، والجَهْلُ – هنا – : القبيحُ من القول ، ومعناه : كأنّما تُطْعِمُهم الرَّمَاد الحارّ ، وهو تشبيه لِمَا يَلْحَقُهم من

(١) " التفسير المنير " (١٠/ ١١٨) .

(٢) المَلُّ : الرَّمَادُ الحَارّ .

(٣) الظهير : المُعِين والدافع .

(٤) رواه مسلم (٢٥٥٨) .

الألم بِمَا يَلْحَق آكلَ الرَّمَادِ الحارّ من الألم ، ولا شيءَ على هذا المُحْسِن ، بل يَنَالُهم الإثمُ العظيم في قَطِيعَته ، وإدخالهم الأَذَى عليه " ا.هـ .

(٢) وعن عليّ بن الحُسَيْن – رحمه الله تعالى – أن رجلاً سَبَّهُ ، فَرَمَى إليه عليُّ بن الحسين بِخَميصَةٍ [١] كانت عليه ، وأمر له بألفِ دِرْهَم ، فقال بَعْضُهم : جَمَعَ لَهُ خَمْسَ خِصال محمودة : الحِلْم ، وإسقاط الأذى ، وتخليص الرجل ممّا يُبْعِدُه عن الله ﷻ ، وَحَمَلَهُ على النَّدَم والتوبة ، وَرُجوعَه إلى مَدْحٍ بَعد ذَمٍّ ، اشْتَرَى جميعَ ذلك بشيء من الدنيا يسير [٢] .

(٣) وَقيل يوماً لِعَرَابَةَ بْنِ أَوْسٍ : بِمَ سُدتَ قَوْمَك يا عَرَابةُ ؟ فقال : " كنتُ أحْلُمُ عن جَاهِلِهم ، وأُعْطِي سَائِلَهم ، وأسْعى في حَوائجهم ، فَمَنْ فَعَل فِعْلِي فَهو مِثْلي ، ومن جاوَزني فهو أفضل ، وَمَنْ قَصَّرَ عَنِّي فأنا خيرٌ منه " [٣] .

---

(١) الخَمِيصةُ : ثوبٌ أسْوَدُ أو أحمرُ له أعْلامٌ .

(٢) " الإحياء " (٣/ ١٧٨) .

(٣) " نفس المرجع " (٣/ ١٧٨) .

(٤) وَلله دَرُّ الشافعيُّ حينَ قال [١] :

يُخاطِبني السَّفِيهُ بكلِّ قُبْحٍ   فَأَكْـرَهُ أن أكونَ له مُجِيباَ
يزيدُ سفاهــةً فأزيدُ حِلْماً   كَعودٍ زَادَه الإحْراقُ طِيباَ

الصِّفَةُ الثالثة

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾

هذا بيانٌ لحالِ عبادِ الرحمن في معاملتهم مع رَبِّهم .

قال ابْنُ عَطِيَّةَ – رحمَه الله تعالى – في " المحرَّر الـوجيز " (٤/ ٢٥١) – في تفسيره لهذه الآية – : " هذه الآية فيها تحريضٌ على القيام بالليـل للصلاة ، قال الحَسَنُ : لمّا فرغ من وَصْفِ نَهَارِهم ، وَصَـفَ في هـذه – الآية – لَيْلَهم " ا.هـ.

وقال البغويُّ – رحمه الله – في " تفسيره " (٩٣١) : " قولُه – تعـالى – : " والذين يبيتون لربهم " يقال لِمَنْ أدرك اللّيلَ : بَاتَ ، نـام أَوْ لَمْ يَنَم ، يقال : بات فلان قَلِقاً ، والمعنى : يَبِيتُون لربِّهم بالليل في الصّلاة ، " سُجَّداً " على وجوههم . " وقياماً " على أقدامهم " ا.هـ .

---

(١) " ديوان الشافعي " (٥٢) .

قلت : وليس المعنى : أنهم يقيمون الليلَ كلّه ؛ فهذا خلافُ السُّنَّة ؛ كما قالت عائشة – رضي الله عنها –

والنبيُّ ﷺ كان يَقُومُ وَيَرْقُد ؛ وَيَصُوم وَيُفْطِر كما ثبت ذلك عنه ، وخَصَّ البيتوتة ؛ لأن العِبَادَةَ بالليل أبعد عن الرِّياء ، وأكثر خشوعاً وَقُربَةً من الله تعالى .

والمعنى : أن سِيرَتَهم في الليل كسيرتِهم في النهار ، فنهارُهم خَيْرُ نهار ، وليلُهم خَيْرُ ليلٍ ، فإذا أمسوا أو أدركوا الليل باتوا ساجدين قائمين لربِّهم ، يُصَلُّون بَعْضَ اللّيل أو أكثَره ، طائعين عابدين ، كما قال تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات:١٧] .

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : " من صَلَّى ركعتين أو أكثر بعد العشاء ، فقد بات لله ساجداً وقائماً " (١) .

---

(١) " تفسير القرطبي " .

وقال تعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٦، ١٧]

قال ابْنُ كثير – رحمه الله – في تفسيره لهاتين الآيتين – ما مختصره – : " قوله تعالى : " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ " يعني ذلك : قيامَ اللَّيل وَتَرْكَ النَّوم والاضطجاعِ على الفُرُشِ الوطيئة .

" يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا " أي : خوفاً من وَبَالِ عِقَابِه ، وطمعاً في جَزِيلِ ثوابه . " وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ " فَيَجْمَعُونَ بين فِعْلِ القُرُباتِ اللَّازمة والمُتَعَدِّية .

" فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ " الآية . أي : فلا يَعْلَمُ أَحَدٌ عَظَمَةَ مَا أَخْفَى اللهُ لهم في الجنّات من النَّعيم المقيم ، واللذاتِ التي لم يَطَّلِعْ على مثْلِهَا أَحَدٌ ، لَمَّا أخْفَوْا أَعْمَالَهم أَخْفى اللهُ لهم من الثوابَ جزاءً وِفَاقاً ، فإنّ الجزاءَ من جِنْسِ العمل .

قال الحسنُ البَصريُّ : أَخْفَى قَوْمٌ عَمَلَهُم ، فأَخْفَى اللهُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ ، ولم يَخْطُرْ على قلبِ بَشَر .

وعن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال : " قال اللهُ تعالى : أَعددتُ لعبادِي الصّالحين ما لا عَيْنٌ رأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَر " . قال أبو هريرة : اقْرَءُوا إن شِئْتُمْ " فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ " (١) ا.هـ.

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزُّمر:٩] : " مَن أَحَبَّ أن يُهَوِّنَ اللهُ عليه الوقوفَ يَوْمَ القيامة ، فَلْيَرَهُ اللهُ في ظُلْمَةِ الليلِ ساجداً وقائماً يَحْذَرُ الآخرةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّه " (٢) .

وقال حَسّانُ بْنُ عطية – رحمه لله – : " مَنْ أَطَالَ قِيامَ اللَّيلُ يُهَوَّن عليه طولُ القيام يَوْمَ القيامة " (٣) .

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٩) ، ومسلم (٢٨٢٤) .

(٢) " تفسير القرطبي " للآية .

(٣) " أحاسن المحاسن " (٦٠٥) .

لقطات من أحوالِ الصّالحين مع ربِّهم في الليل

قال أبو سليمان الدَّارَانِي : " لولا قيامُ اللَّيل ، ما أحببتُ البقاءَ في الدُّنْيَا ".

وقال – أيضاً – : " أهلُ الطاعةِ في ليلهم ألذُّ من أهلِ اللَّهْوِ في لَهْوِهم ، وربّما استقبلني الفرحُ في جوفِ الليل ، وربّما رأيتُ القلبَ يَضْحَكُ ضَحِكاً ، وإنه لتمرُّ بالقلب أوقات يَرْقُصُ فيها طَرَباً ، فَأقول : إن كان أهلُ الجَنّة في مِثْلِ هَذَا إنّهم لَفِي عَيْشٍ طَيِّب " [1] .

فاحرص – يا أخي – على قيامِ الليل – ولو بِعَشْرِ آياتٍ – لتنال هذا الشّرف العظيم ؛ وتصل إلى هذه المكانة العالية ؛ واقرأ – معي – هذين الحديثين :

١ – عن سَهْلِ بْنِ سَعْد ﷺ قال : جاء جبريل إلى النبيِّ ﷺ فقالَ : " يا مُحمّد ، عِشْ ما شئتَ فإنّك مَيِّتٌ ، واعْمَلْ ما شئتَ فإنّكَ مَجْزِيٌّ به ، وأَحبِبْ مَنْ شئتَ فإنّك مُفارِقُه ، واعلم أنَّ شَرَف المُؤْمِنِ قيامُ اللّيل ، وَعزَّةُ استغناؤه عن الناس ".

---

(١) " البداية والنهاية " لابن كثير .

(٢) حسن لغيره : رواه الطبراني في " الأوسط " ، وانظر : "صحيح الترغيب " (٦٢٧) .

٢- وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ الله ﷺ: " مَنْ قَامَ [١] بِعَشْرِ آياتٍ لم يُكْتَبْ مِنَ الغَافلين، ومن قام بمائةِ آيةٍ كُتِبَ من القانِتين، وَمَنْ قَامَ بألفِ آيةٍ كُتِبَ من المُقَنْطِرين [٢].

قال الحافظ المنذريّ -رحمه الله تعالى-: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إلى آخر القرآن ألف آية ".

وقولُه ﷺ: " كُتِب مِنَ المُقَنْطِرين " أي: مِمَّن كُتِبَ له قِنْطَارٌ من الأَجْر ".

فائدة: " جاء في النَّصِّ تقديم السُّجودِ على القيام [٣]؛ لأن العَبد أَقْرَبُ ما يكونُ مِنْ رَبِّه وهو ساجد، ولأن عبادَ الرَّحْمن يُكْثِرون من السجود، ويُطِيلون فيه، لِيَسْتَمْتِعوا بحالاتِ القُرْبِ من اللهِ تعالى " [٤].

---

(١) أي: من قام الليل.

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وابن خزيمة في " صحيحه "، وانظر: " صحيح الترغيب " (٦٢٧).

(٣) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان:٦٤].

(٤) " صفات عباد الرحمن " لعبد الرحمن الميداني (٥٩).

عَرَفَ الصَّالحونَ قَدْرَ السّجودِ لله – تعالى – فجاءت أقوالُهم وأحوالُهم ، تدلّ على مكانته عندهم ؛ فمن ذلك :

قال سعيدُ بْنُ جُبَيْر ، قال لي مَسْروق : " ما بَقِيَ شيءٌ يُرْغَبُ فيه إلّا أن نُعَفِّر وجُوهَنا في التّراب ، وما آسَى على شيءٍ إلّا السُّجود لله تعالى " [١] .

الصِّفَةُ الرَّابِعة

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾

وهو إشارةٌ إلى أَنَّهم مع اجتهادهم في عبادةِ الحقِّ : خائفون من العذاب ، مُبْتَهِلون إلى الله تعالى في صَرْفِه عنهم ، لعدمِ اعْتِدَادِهم بأعْمَالهم .

وهذا كَقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون:٦٠]

---

(١) " تهذيب سير أعلام النبلاء " (٢٨٦) .

فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : سألتُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ... ﴾ الآية ، قالت عائشة : أَهُمُ الَّذِين يَشْرَبون الخَمْر وَيَسْرِقُون ؟ – وفي رواية : أَهُو الذي يَزْنِي وَيَسْرِقُ ويشربُ الخَمْر ؟ – قال : " لا يا بِنْتَ الصِّدِّيق ، ولكنهم الذين يَصُومون ، وَيُصَلُّون ، ويتصدّقون ، وهم يَخافُون أن لا تُقْبَل منهم ، ﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٦١] (١).

قال أبو السُّعود – رحمه الله – في " إرشاد العقل السليم " : (٥/ ٢٥) : " قولُه تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ أي : في أعقاب صلواتهم أو في عامّةِ أوقاتهم . ﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ أي : شرّاً دائماً ، وهلاكاً لازماً ، وفيه مَزِيدُ مَدْحٍ لهم ببيان أنّهم مع حُسْنِ معاملتِهم مع الخلق ، واجتهادهم في عبادة الحقِّ ، يخافون العذاب ، يبتهلون إلى الله تعالى في صرفه عنهم ، غير محتفلين بأعمالهم " انتهى كلامه .

(١) صحيح : رواه أحمد ، والترمذي (٣١٧٥) ، وابن ماجة (٤١٩٨) ؛ وغيرهما .

قلت : وهذا وصفُ المؤمنِ بخلاف المنافق ؛ قال الحسنُ الْبَصْرِيُّ – رحمه الله – : " إنَّ المؤمنَ جَمَع إحساناً وشفقةً ، وإن المنافق جمع إسَاءَةً وَأَمْناً " .

وقال الحسنُ البصريُّ – رحمه الله تعالى – في تفسير – آيات صفات عباد الرحمن – : " قال تعالى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ قال : حُلَماء لا يَجْهَلُون ، وإذا جُهل عليهم حَلمُوا ، يُصَاحِبُون عبادَ الله نهارَهم بما يَسْمَعُون ، ثم ذَكَرَ لَيلَهم خَير ليل ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ ، ينتصبون لله على أقدامهم ، ويَفترشون وجوهَهم لربِّهم سجّداً ، تجري دموعُهم على خدودهم فَرَقاً [1] من ربِّهم ، لأمْرٍ ما أسهروا له ليلَهم ولأمر ما خشعوا له نهارَهم ، ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ . قال : وكلُّ شيءٍ يُصِيبُ ابْن آدم ثم يزولُ عنه فليس بِغَرام ، إنّما الغرامُ المُلازِم له ما دَامت

(١) فرقاً : خوفاً .

السمواتُ والأرض ، قال : صَدَق القومُ واللهِ الذي لا إله إلّا هو ، فَعَمِلوا ولم يَتَمنَّوْا – فإيّاكم – رَحِمَكُم اللهُ – وهذه الأمانيّ فإنّ اللهَ لم يُعطِ عبداً بأمْنِيّته خيراً قطُّ في الدنيا والآخرة .

وكان يقول : يا لها من موعظةٍ لو وافَقت من القلوبِ حَياة لَوعَتْها " .

أخي الحبيب :

إن أهل النار – أعاذنا اللهُ – طعامُهم نار ، وَشَرابُهم نار ، وأنفاسُهم نار ، وَلِبَاسُهم نار ، وفِراشُهم نار ؛ ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ [الزُّمر:١٦] .

ويقول النبيُّ ﷺ : " لو كان في المسجدِ مائَةُ أَلْفٍ أَوْ يَزيدون ، ثم تَنَفَّس رَجُلٌ من أهلِ النّار ؛ لأَحْرَقَهم " (١) .

فنسأل الله – تعالى – أن يُعِيذَنِي وإيّاك منها ، برحمتِهِ وَفَضْلِه ؛ إنّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه .

---

(١) صحيح لغيره : رواه البزّار ، وانظر : " صحيحِ الترغيب والترهيب " (٣٦٦٨) .

الصِّفَةُ الْخَامِسة

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾

أي : والذين إذا أنفقوا على أنفسهم أو عيالهم – ليسوا بالمُبـذِّرين في إنفاقِهم ، فلا يُنْفِقُون فَوْقَ الحَاجَةِ ، ولا بالبخلاء ، فيقصِّرون في حقِّهم وفيما يَجِبُ عليهم ، بل ينفقون عَدْلاً وَسَطاً خِيَاراً ، بقدر الحَاجَةِ ، وَخَيْرُ الأمورِ أَوْسَطُها .

وهذا أساسُ الاقتصاد وَعِمَادُ الإنفاق في الإسلام [1] .

وقال الشِّنْقِيطيُّ – رحمه الله – في " أضواء البيان " (٦/ ٢٨١) : " واعلم أن أظهر الأقوال في هذه الآية الكريمة : أن الله مدح عبادَه الصالحين بتوسّطهم في إنفاقهم ، فلا يجاوزون الحدّ بالإسراف في الإنفاق ، ولا يَقْتُرُون ، أي : لا يُضَيِّقونَ فَيَبْخَلُونَ بإنفاق القَدْر اللازم " ا.هـ.

---

(١) " التفسير المنير " (١٠/ ١١٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ أي : قصداً وَسَطاً بين الإسراف والإقتار ، حَسَنة بين سَيِّئَتَيْن [١] .

وقال يزيدُ بن أبي حَبيب – رحمه الله – في هذه الآية : " أولئك أصحابُ محمّد ﷺ كانوا يأكلون من الطعام ما يَسُدُّ عنهم الجوع ، ويقويِّهم على عبادة ربِّهم ، ومن الثياب ما يَسْتُرُ عوراتِهم ، ويكِنّهم من الحرِّ والْبَرْد [٢] .

وقال ابن عطية – رحمه الله – : " التأديبُ في هذه الآية هو في نَفَقَةُ الطّاعات في المباحات ، فَأَدَبُ الشَّرعِ فيها : ألّا يُفْرِط الإنسانُ حتى يضيِّع حَقّاً آخر أو عيالاً ونحو هذا ؛ لأن النفقة في مَعصية أَمْرٌ قد حظرت الشريعةُ قلِيلَهُ وَكثِيرَهُ ، وكذلك التعدِّي على مالِ الغَيْر " ا.هـ .

---

(١) " تفسير البغوي " (٩٣٢) .

(٢) انظر " تفسير البغوي " (٩٣٢) .

فائدة :

قال عبد الملك بن مَرْوَان لعمرَ بْنِ عبد العزيز – حين زَوّجه ابنته فاطمة – : ما نفقتُك ؟ . فقال له عمر : " الحَسَنَةُ بين سَيِّئَتين " ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ .

علاقةُ الآية الكريمة بالاقتصادِ الحديث

قال الشيخ الشنقيطي – رحمه الله تعالى – في " أضواء البيان " (٦/ ٢٨٣-٢٨٥) : " هَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ الَّتي هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ الآية ، والآياتُ التي ذكرْنَاهَا مَعَهَا قَدْ بَيَّنت أَحَدَ رُكْنَي ما يُسمَّى الآن بالاقتصاد ، وإيضاحُ ذلك أَنَّهُ لا خِلافَ بَيْنَ العُقلاءِ أَنَّ جَميعَ مَسائِلِ الاقتصادِ – على كثْرَتها واختلافِ أنْواعِهَا – رَاجِعَةٌ بالتَقْسيم الأوَّلِ إلى أصْلَينِ لا ثالثَ لهُمَا :

الأوَّلُ مِنْهُمَا : اكْتِسَابُ الْمَالِ .

والثَّانِي مِنْهُمَا : صَرْفُهُ فِي مَصَارِفِهِ ، وَبِهِ تَعْلَمُ أَنَّ الاقتصادَ عَمَلٌ مُزْدَوَجٌ ، ولا فَائِدَةَ فِي واحدٍ من الأصلَيْنِ المَذْكورَيْنِ إلَّا بِوُجُودِ الآخرِ ، فَلَوْ كانَ الإنْسَانُ أَحْسَنَ النَّاسِ نَظَراً فِي أَوْجُهِ اكْتِسَابِ الْمَالِ ، إلَّا أَنَّهُ أَخْرَقُ جَاهِلٌ بِأَوْجُهِ صَرْفِهِ ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ مَا حَصَّلَ مِنَ الْمَالِ يَضِيعُ عَلَيْهِ بِدُونِ فَائِدَةٍ ، وَكَذَلِكَ إذا كانَ الإنْسَانُ أَحْسَنَ نَظَراً فِي صَرْفِ الْمَالِ فِي مَصَارِفِهِ الْمُنْتِجَةِ إلّا أَنَّهُ أَخْرَقُ جَاهِلٌ بِأَوْجُهِ اكْتِسَابِهِ ، فَإِنَّهُ لا يَنْفَعُهُ حُسْنُ نَظَرِهِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَحْصِيلِ شَيءٍ يَصْرِفُهُ ، والآياتُ المَذْكُورَةُ أَرْشَدَتِ النَّاسَ وَنَبَّهَتْهُمْ عَلَى الاقْتِصَادِ فِي الصَّرْفِ .

وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ مَسَائِلَ الِاقْتِصَادِ كُلَّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى الْأَصْلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ ، وَأَنَّ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةَ دَلَّتْ عَلَى أَحَدِهِمَا ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْآخَرَ مِنْهُمَا وَهُوَ اكْتِسَابُ الْمَالِ أَرْشَدَتْ إِلَيْهِ آيَاتٌ أُخَرُ دَلَّتْ عَلَى فَتْحِ اللهِ الْأَبْوَابَ إِلَى اكْتِسَابِ الْمَالِ بِالْأَوْجُهِ اللَّائِقَةِ ، كَالتِّجَارَاتِ

وَغَيْرِهَا ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [١٩٨\٢] وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ ﴾ [١٠\٦٢] وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ ﴾ [٢٠\٧٣] وَالْمُرَادُ بِفَضْلِ اللهِ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ رِبْحُ التِّجَارَةِ ؛ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾ [٢٩\٤] وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي سُورَةِ " الْكَهْفِ " ، فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْآيَةَ ﴾ [١٩\١٨] أَنْوَاعَ الشَّرِكَاتِ وَأَسْمَاءَهَا ، وَبَيَّنَّا مَا يَجُوزُ مِنْهَا ، وَمَا لَا يَجُوزُ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ ، وَأَوْضَحْنَا مَا اتَّفَقُوا عَلَى مَنْعِهِ ، وَمَا اتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِهِ ، وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَبِهِ تَعْلَمُ كَثْرَةَ الطُّرُقِ الَّتِي فَتَحَهَا اللهُ لِاكْتِسَابِ الْمَالِ بِالْأَوْجُهِ الشَّرْعِيَّةِ اللَّائِقَةِ .

وَإِذَا عَلِمْتَ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّ جَمِيعَ مَسَائِلِ الِاقْتِصَادِ رَاجِعَةٌ إِلَى أَصْلَيْنِ ، هُمَا : اكْتِسَابُ الْمَالِ ، وَصَرْفُهُ فِي مَصَارِفِهِ ، فَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ ، لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَمْرَيْنِ ضَرُورِيَّيْنِ لَهُ :

الْأَوَّلُ مِنْهُمَا : مَعْرِفَةُ حُكْمِ اللهِ فِيهِ ، لِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يُبِحِ اكْتِسَابَ الْمَالِ بِجَمِيعِ الطُّرُقِ الَّتِي يَكْتَسِبُ بِهَا الْمَالَ ، بَلْ أَبَاحَ بَعْضَ الطُّرُقِ ، وَحَرَّمَ بَعْضَهَا ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [٢/٢٧٥] وَلَمْ يُبِحِ اللهُ جَلَّ وَعَلَا صَرْفَ الْمَالِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، بَلْ أَبَاحَ بَعْضَ الصَّرْفِ وَحَرَّمَ بَعْضَهُ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ﴾ [٢/٢٦١] وَقَالَ تَعَالَى فِي الصَّرْفِ الْحَرَامِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ الْآيَةَ [٨/٣٦] فَمَعْرِفَةُ حُكْمِ اللهِ فِي اكْتِسَابِ الْمَالِ وَفِي صَرْفِهِ فِي مَصَارِفِهِ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ لَا بُدَّ مِنْهُ ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ قَدْ يَكْتَسِبُ الْمَالَ مِنْ وَجْهٍ حَرَامٍ ، وَالْمَالُ

الْمُكْتَسَبُ مِنْ وَجْهٍ حَرَامٍ ، لَا خَيْرَ فِيهِ الْبَتَّةَ ، وَقَدْ يُصْرَفُ الْمَالُ فِي وَجْهٍ حَرَامٍ ، وَصَرْفُهُ فِي ذَلِكَ حَسْرَةٌ عَلَى صَاحِبِهِ .

الْأَمْرُ الثَّانِي : هُوَ مَعْرِفَةُ الطَّرِيقِ الْكَفِيلَةِ بِاكْتِسَابِ الْمَالِ ، فَقَدْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مثلًا أَنَّ التِّجَارَةَ فِي النَّوْعِ الْفُلَانِيِّ مُبَاحَةٌ شَرْعًا ، وَلَكِنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَوْجُهَ التَّصَرُّفِ بِالْمُصْلَحَةِ الْكَفِيلَةِ بِتَحْصِيلِ الْمَالِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ ، وَكَمْ مِنْ مُتَصَرِّفٍ يُرِيدُ الرِّبْحَ ، فَيَعُودُ عَلَيْهِ تَصَرُّفُهُ بِالْخُسْرَانِ ، لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِالْأَوْجُهِ الَّتِي يُحَصِّلُ بِهَا الرِّبْحَ . وَكَذَلِكَ قَدْ يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ أَنَّ الصَّرْفَ فِي الشَّيْءِ الْفُلَانِيِّ مُبَاحٌ ، وَفِيهِ مَصْلَحَةٌ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَهْتَدِي إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّرْفِ الْمَذْكُورِ ، كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ فِي الْمَشَارِيعِ الْكَثِيرَةِ النَّفْعِ إِنْ صَرَفَ فِيهَا الْمَالَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ ، فَإِنَّ جَوَازَ الصَّرْفِ فِيهَا مَعْلُومٌ ، وَإِيقَاعُ الصَّرْفِ عَلَى وَجْهِ الْمَصْلَحَةِ لَا يَعْلَمُهُ كُلُّ النَّاسِ .

وَبِهَذَا تَعْلَمُ أَنَّ أُصُولَ الِاقْتِصَادِ الْكِبَارَ **أَرْبَعَةٌ** :

الْأَوَّلُ : مَعْرِفَةُ حُكْمِ اللهِ فِي الْوَجْهِ الَّذِي يُكْتَسَبُ بِهِ الْمَالُ ، وَاجْتِنَابُ الِاكْتِسَابِ بِهِ ، إِنْ كَانَ مُحَرَّمًا شَرْعًا .

الثَّانِي : حُسْنُ النَّظَرِ فِي اكْتِسَابِ الْمَالِ بَعْدَ مَعْرِفَةِ مَا يُبِيحُهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا لَا يُبِيحُهُ .

الثَّالِثُ : مَعْرِفَةُ حُكْمِ اللهِ فِي الْأَوْجُهِ الَّتِي يُصْرَفُ فِيهَا الْمَالُ ، وَاجْتِنَابُ الْمُحَرَّمِ مِنْهَا .

الرَّابِعُ : حُسْنُ النَّظَرِ فِي أَوْجُهِ الصَّرْفِ ، وَاجْتِنَابُ مَا لَا يُفِيدُ مِنْهَا ، فَكُلُّ مَنْ بَنَى اقْتِصَادَهُ عَلَى هَذِهِ الْأُسُسِ الْأَرْبَعَةِ كَانَ اقْتِصَادُهُ كَفِيلًا بِمَصْلَحَتِهِ ، وَكَانَ مُرْضِيًا للهِ جَلَّ وَعَلَا ، وَمَنْ أَخَلَّ بِوَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُسُسِ الْأَرْبَعَةِ كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ مَنْ جَمَعَ الْمَالَ بِالطُّرُقِ الَّتِي لَا يُبِيحُهَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا فَلَا خَيْرَ فِي مَالِهِ ، وَلَا بَرَكَةَ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [٢\٢٧٦] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ الْآيَةَ ﴾ [٥\١٠٠] . انتهى كلامه .

الصِّفَةُ السَّادِسة

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾

قال الإمامُ الشوكاني – رحمه الله – : " أي : لا يُشْركون به شيئاً ، بل يوحِّدونه ، وَيُخْلِصون له العبادةَ والدعوة " انتهى كلامه .

وقال ابن عطية – رحمه الله تعالى – في " المحرَّر الوجيز " (٤/ ٢٥٢) : " وقولُه تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ... ﴾ : إخراجٌ لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في عبادتهم ، وقتلهم النفس بِوَأدِ البنات وغيرِ ذلك من الظّلمِ والاغتيال والغارات ، وبالزِّنا الذي كان عندهم مُباحاً ، وفي نحو هذه الآية قال ابن مسعود : قلتُ يوماً : يا رسول الله ، أيُّ الذَّنْبِ أعْظَم ؟ . قال : " أن تجعلَ للهِ نِدّاً وهو خَلَقَك " ، قلتُ : ثم أيّ ؟ قال : " أن تَقْتُلَ وَلَدَك خَشْيَةَ أن يُطْعَمَ مَعَك " . قلتُ : ثم أَيّ ؟ قال : " أن تُزَانِي حَلِيلَةَ جَارِك " ، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية [١] .

(١) رواه البخاري (٦٠٠١) ، ومسلم (٨٦) .

والْقَتْلُ والزِّنَا يدخل في هذه الآية العصاةُ من المؤمنين ، ولهم الوعيد بِقَدْرِ ذلك [١] .

والحقُّ الذي تُقْتَلُ به النَّفس هو : قتلُ النَّفس – يعني : بغير حَقٍّ – ، والكفرُ بعد الإيمان ، والزِّنا بعد الإحصان ، والكُفْرُ الذي لم يتقَدَّمْهُ إيمانٌ في الحَرْبيِّين [٢] " انتهى كلامه .

وقال البيضاوي – رحمه الله – في " تفسيره " (٢/ ١٩٣) : " نَفَى عنهم – يعني : عن عبادِ الرحمن – أمّهات المعاصي بعدما أثبت لهم أصول الطاعات إظهاراً لكمالِ إيمانِهم وإشعاراً بأن الأجر المذكور مَوْعُودٌ لِلْجَامِع بين ذلك " انتهى كلامه .

وبالجملة :

فهذه أعظمُ الجرائم : الشِّركُ ، والقتلُ العَمْد – العُدْوان – ، والزّنى ؛ والجريمةُ الأولى : عدوانٌ على الله . والثانية : عدوانٌ على الإنسانية . والثالثة : عدوانٌ على الحقوقِ وانتهاكٌ للأعراض [٣] .

(١) من مات مُشْركاً ؛ يُخلّد في النار ؛ ولا يخرج منها ؛ ومن مات من الموحِّدين عاصياً ؛ فأمره إلى الله ؛ إن شاء عذّبه ، وإن شاء غفر له ؛ ولا يبقى في النار موحِّد .

(٢) يخرج بذلك : الذمّيون ، والمعاهَدون ، والمُسْتَأمَنون ؛ فالاعتداء عليهم ذنب عظيم .

(٣) " التفسير المنير " (١٠/ ١٢٠) .

أخي الحبيب :

وللمزيد عن أهمية التوحيد ، وخطر الشرك ؛ راجع : رسالة : " تقريب العقيدة الصحيحة في ضوء أصول السّنة للإمام أحمد " ؛ وهي الرسالة الثانية ، ضمن هذه السلسلة .

والخلاصة :

فعباد الرحمن : " لا يَدْعُونَ إلهاً من الإنسِ ، ولا يَدْعُون إلهاً من الجِنّ ، ولا يدعون إلهاً من الملائكة ، ولا يَدْعُون إلهاً من الأوثان ، ولا يَدْعون إلها من الموتى وأهلِ القبور [1] .

الصِّفَةُ السَّابعة

﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ ﴾

قال القرطبيُّ – رحمه الله تعالى – في تفسيره لقوله تعالى – في وصف عباد الرحمن – : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ : " دلّت الآيةُ على أنّه ليس بعد الكفر أعظم من قتل النفس بغير حق ، ثم الزّنى .

(١) " صفات عباد الرحمن " لعبد الرحمن الميداني (٧١) .

وقولُه : " إلّا بالحقّ " أي : بما يَحِقّ أن تُقْتَل به النفوس من : كُفْرٍ بعد إيمان ، أو زنىً بعد إحْصَانٍ ، أو قتلِ نفسٍ بغير نفس " ا.هـ.

قلت : وَقَتْلُ مَن يَسْتَحِقُّ القتل : موكولٌ للسلطان ؛ أو نائبه ؛ وليس لآحاد الرعَّيَّة ؛ وإلّا كانت الفوضى .

وبالجملة :

فعباد الرحمن : عَمِلُوا بقول النّبيِّ ﷺ : " لا يَحِلَّ دَمُ امرئٍ مسلم إلّا بإحدى ثلاث : الثّيِّبُ الزّاني ، والنفسُ بالنَّفْس ، والتاركُ لدينه المُفَارق للجماعة " [1] .

" وقد جاءَ في عدّة نصوص بيان الحقِّ الذي يُشْرَعُ فيه قَتْلُ النَّفْسِ : فالقاتل ظُلْماً عَمْداً وعُدْواناً : يقتل قِصاصاً .

والزّاني المُحْصَن : يُقْتَلُ رَجْماً .

والمرتدُّ عن دينِ الإسلام : يُقتل حمايةً للمجتمع الإسلامي من المتلاعبين الفتّانين .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

والذين يَسْعَوْن في الأرض فساداً ، فَيَقْطَعُون الطُّرُقَ ، فَيَقْتُلُون ، وَيَسْلُبُون : هؤلاء يُقتَّلونَ وَيُصَلَّبُون ، وَتُقَطَّع أيديهم وأرجلُهم من خِلَافٍ على حَسَب أَحْوالهم [١] .

والمحاربون للمسلمين : فهؤلاء يُقَاتَلُون ؛ لِعدوانهم ؛ أو كَفّاً لشرِّهم .

والخارجون على ولاةِ الأمور – وإن جاروا – ؛ فهؤلاء يُقاتَلُون ؛ حفاظاً على أصل الإسلام ؛ وقد قال النبيُّ ﷺ عن الخوارج : " فأينما لقيتُموهم فاقْتُلوهم ، فإن في قتلهم أجْرٌ لمن قَتَلهم يَوم القيامة " [٢] .

قال النوويُّ في " شرح مسلم " (٧/ ١٧٥) : " هذا تصريحٌ بوجوبِ قتالِ الخوارج والبغاة ، وهو إجماعُ العلماء " انتهى كلامه .

قلتُ : وقتالهم يكون تحت رايَة السلطان – كما مرّ – .

---

(١) " صفات عباد الرحمن في القرآن " لعبد الرحمن الميداني (٧٧) .

(٢) رواه البخاري (٣٦١١) ؛ ومسلم .

أخي الحبيب :

" إن القتل يهدمُ وجودَ الإنسان ، وهو إعدامُ الناس بَعد وُجودِهم ، وهو حَرَامٌ لكونه إعتداء على خَلْقِ الله ، وَهدْمٌ له ، لأن الإنسان لَيس مِلْكاً لنفسه ، إنما هو مِلكٌ لخالقه ، وَثَرْوَةٌ لمجتمعه ودولته ، ولذلك حُرِّم الانتحار ، وَحُرِّمَ قَتل النفس إلّا بالحق ، فمن قَتل نفسه فهو آثمٍ مُعْتَدٍ ، ومن قَتَل غَيرُه فهو – أيضاً – مُعْتَدٍ آثِم " (١) .

ومن القتلِ المُحَرَّم : قتلُ النَّفس المعصومَة بعقد الأَمان ؛ كالذمِّيين ، والمعاهَدين ، والمُسْتَأْمَنين ؛ وفي الحديث : " مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَمَ يَرَحْ رائِحةَ الجَنَّةِ ، وإن رِيحَها يوجدُ من مسيرةِ أربعينَ عاماً " (٢) .

وقال رسولُ الله ﷺ أيضاً – : " مَنْ قَتَل رَجُلاً من أَهْلِ الذِّمَّة ، لم يجدْ ريحَ الجنّة ، وإن ريحَها لتوجدُ مِنْ مَسيرة سبعين عاماً " (٣) .

---

(١) " التفسير المنير " (٨/ ٧٦) .

(٢) رواه البخاري . ومعنى : " يَرَحْ " لم يَجِدْ رِيحَها ، ولم يشمّها .

(٣) صحيح : رواه النسائي . والذِّمَّة ؛ تعني : العهد ، والأمان ، والضمان ، والحرمة ، والحق . " النهاية " لابن الأثير .

وقال ﷺ : " أَيّما رجلٍ أَمَّنَ رَجُلاً على دَمِه ، ثم قَتَله ؛ فأنا بريءٌ من القاتل وإن كان المقتولُ كافراً " (١) .

أخي الكريم :

إن القتل بغير حقٍّ جريمة عظمى ؛ لأنه إفساد ، والله لا يحب الفساد ، وضررٌ واعتداء ، وإخلال بالأمن ، وإحداث للاضطراب في المجتمع ، وسبيلٌ لانقراض الإنسانية ؛ لذا توعّد الإسلامُ القاتل : بالقِصاص في الدنيا ؛ والعذابِ العظيمِ في الآخرة ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٩] .

بيانٌ بديع ، يُرشد إلى حماية المجتمع من المجرمين السفَّاحين .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣] .

" إنّه خَطَرُ مؤلَّفٌ من أربعة عناصر ، وهي : إقامةٌ طويلةٌ في جهنم ، وغضبٌ من الله ، وطردٌ من رحمته ، وعذاب عظيم " (٢) .

فمن يُطِيقُ ذلك ، أو يَصْبرُ عليه ؟ . نسأل الله العافية .

---

(١) صحيح : رواه أبو داود .

(٢) " صفات عباد الرحمن " للميداني (٧٨) .

الصِّفَةُ الثامنة

﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾

أي : لا يَطَأون فَرْجاً مُحَرَّماً عليهم .

والزِّنَى : إدخالُ فَرْجٍ في فَرْجٍ ، مُحَرَّمٌ شرعاً ، مُشْتَهىً طَبْعاً .

وقد جاء النهيُ عن الزنا في آياتٍ وأحاديث ؛ بل قد جاء النهيُ عن الوسائل المُفْضِيَةِ إليه ؛ كالخَلْوةِ بالأجنبية ؛ وإطلاقِ الْبَصَرِ ، والدخولِ على المُغيبة ؛ وغير ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢]

أي لا تقربوا من الزنى ، ولا مِنْ أسبابه وَدَوَاعِيه ؛ لأن تعاطي الأسباب مُؤدٍّ إليه ، والزِّنَى فعلةٌ فاحشة شديدة القبح وَذَنْبٌ عظيم ، وساء طريقاً وَمَسْلَكاً ، لأن فيه هتك الأعراض ، واختلاط الأَنْسَاب ، واقتحام الحُرُمَات ، والاعتداء على حقوق الآخرين ، وتقويض دعائم المجتمع بهدم الأسرة ، ونشر الفَوْضى ، وفتح باب الاضطراب ، وانتشار الأمراض الفتّاكة ، والوقوع

في الفقر والذّلِّ والهوان . قال القَفَّالُ : إذا قيل للإنسان : لا تَقْرَبْ هذا ، فهذا آكَدُ من أن يقول له : لا تَفْعَلْه ، ثم إنه تعالى عَلَّل هـذا النَّهْيَ بكونه : ﴿ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ .

وقد علَّم النبيُّ ﷺ في حديث أخرجه أحمد فتى شاباً درساً بليغاً واقعياً في أن الزِّنَى كما هو مبغوض مكروه في أُمَّهات الإنسان وبناته وأخواتِه وَعمّاتِه وَخَالاته ، فكذلك هو مبغوض لا يُحِبُّه الناسُ لأُمهاتهم وبناتهم وأخواتهم وعمَّاتهم وخالاتهم ، ثم وضَع يدَه عليه ، وقال : " اللهمّ اغْفِرْ ذَنْبَه ، وَطَهِّرْ قَلْبَه ، وأَحْصِنْ فَرْجَه " فلم يكن ذلك الفتى بَعْدُ يلتفتْ إلى شيء [1] .

أما بلاد الشرق والغرب التي تُبيح الزِّنى ، فإنها لا تهتم باختلاط الأنساب ، ولا بما يسمى بالعِرْضِ ، فقد رُفع هذا من القيم الأخلاقية عندهم ، وجعلوا الاستمتاع بالمرأة كالطعام والشراب ، وهذا نذيرُ سوء ، وقلبٌ للأوضَاع ، وَنَكْسَةٌ في الفطرة الإنسانية.

(١) الحديث بتمامه في " مسند الإمام أحمد " وإسناده صحيح .

وقد وصف الله تعالى الزِّنَى بصفاتٍ ثلاث : كونه فاحشة ، ومقتاً في آية أخرى ، وساء سبيلاً . **أما كونه فاحشة** : فلاشتماله على فساد الأنساب الموجبة لخراب العالم ، ولاشتماله على التقاتل والتواثب على الفروج ، وهو أيضاً يوجبُ خراب العالم . **وأما المقت** : فلأن الزانية تصير ممقوتة مكروهة ، حتى في الأوساط المتحلِّلة ، وذلك يوجبُ عَدَم السَّكَن والازدواج ، وأن لا يعتمد الإنسانُ عليها في شيء من مهماته ومصالحه . **وأما أنه ساء سبيلاً** : فلأنه لا يَبْقَى فَرْقٌ بين الإنسان والبهائم في عدم اختصاص الذكور بالإناث ، وأيضاً يبقى ذُلّ هذا العمل وَعَيْبُه وعارُه على المرأة ، من غير أن يصير مجبوراً بشيء من المنافع [1].

وقال الإمامُ ابن القيم – رحمه الله – في " روضة المحبِّين " : " إذا ابْتُلِيَ بالزنا عَبْدٌ ، فليودِّعْ نِعَمَ الله ، فإنها ضَيْفٌ سريعُ الانتقال ، وَشيك الزوال ...

(١) " التفسير الكبير " للفخر الرازي (٢٠/ ١٩٨) .

انظر إلى أماكن قوم لوط ، جعل اللهُ ديارهم وآثارهم عِبْرَةً للمُعْتَبِرين ، وموعظةً للمتقين " انتهى كلامه .

هذا ؛ وإطلاقُ البَصَر هو السبب الأكبر في وقوع الإنسان في هذه الفاحشة .

قال ابْنُ الجوزي – رحمه الله – في كتاب : " آداب النساء " : " واعلم أن أَصْلَ العِشْقِ : إطلاقُ البصر ، وكما يُخَاف على الرّجل من ذلك ، يُخَافُ على المرأة ، قال : وَقَدْ ذَهَبَ دينُ خَلْقٍ كثيرٍ من المُتَعَبِّدين بإطلاق الْبَصَرِ ، وما جَلَبَهُ ، فَلْيُحْذَرْ من ذلك " انتهى كلامه .

وَعِيدٌ شَدِيد

ثم توعّد الله – تعالى – فاعل هذه المُحَرَّمَات : المُشْرك به ، وقاتل النفس بغير حق ، والزاني ؛ بأشدّ العذاب ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ ، ٦٩] .

قوله تعالى :﴿ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ أي : جزاءً وعقوبةً ؛ قاله ابْنُ زَيْدٍ وقتادة .

﴿ يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ أي : بسبب انضمام المعصية إلى الكفر ، ويخلد في نار جهنم أبداً مع الإهانة والإذلال والاحتقار ، وذلك عَذَابان : حسِّيٌّ ومعنويٌّ [١] .

﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ أي : في العذاب ؛ أمّا خلود المشرك فيها : فخلودٌ أبديٌ ، لا يخرجُ منها . وأما خلودُ قاتِلِ النّفسِ والزّاني [٢] ؛ فمعناه الدّوام إلى مدَّةٍ كخلد الدّول ونحوه ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء:٤٨]

قال العلّامةُ السَّعديُ – رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية – : " الخلودُ لِمَنْ فعلها كُلَّها [٣] : ثابتٌ لا شَكَّ فيه ، وكذلك لمن أشرك بالله [٤] ، أمّا الزاني والقاتل فإن الخلود لا يتناولهما [٥] ، لورود النصوص القرآنية ، والسّنّةِ النبوية بخروج الموحِّدين من النار " انتهى كلامه .

(١) " التفسير المنير " (١٠/ ١٢٠) .

(٢) ممّن مات على التوحيد .

(٣) يعني : أشرك بالله ، وقتل النفس التي حَرّم اللهُ إلّا بالحق ، وَزَنَى .

(٤) يعني : ومات مشركاً .

(٥) يعني : الخلود الأبدي .

فائدة مهمة :

ما نُسب إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – من قوله : بعدم قَبُولِ توبة القاتل ؛ لا يَصِحُّ عنه ، وإن صحّ فيتناول المستحلّ لقتلها ، والله أعلم .

وممّا يدل على ذلك : قولُ أبي الجَوْزاء – رحمه الله – : صَحِبْتُ ابْنَ عَباسٍ ثلاث عشرة سَنَة ، فما شيء من القرآن إلّا سألتُه عنه ، فما سَمِعْتُه يقول إن اللهَ – تعالى – يقول لِذَنْبٍ لا أَغْفِره [1] .

وَعْدٌ أكيد

ثم وَعَد رَبُّنا الرحيمُ مَنْ تَابَ – توبةً نصوحاً وآمن ، وعمل صالحاً بمغفرةِ ذِنوبه ، ومحوِ خَطَاياه ؛ بل بأكثر من هذا ، قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٧٠، ٧١] .

---

(١) انظر : " الصحيح المسند من أسباب النزول " للوادعي (١٥٥) .

قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ ﴾ أي : من الشّرك والقتل والزنى . ﴿ وَآمَنَ ﴾ ؛ أي : شَهِدَ شَهَادَةَ الحَق : " لا إلـه إلّا الله محمـد رسـول الله " ، ﴿ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ ؛ أي : لا يكفي إظهارُ التوبةِ ؛ فلابد من الاستقامةِ بعدها .

قوله : ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ . قـال الحَسَـن : " أَبْدَلَهم بالشّكِّ إخْلاصاً ، وبالفُجور إحْصَاناً ، وبالكُفْر إسلاماً " .

وقال القرطبيُ – رحمه الله – [1]: " ولا يَبْعُدُ في كَرَمِ الله – إذا صحّت توبةُ العبد – أن يضع مَكَانَ كلِّ سيئةٍ حَسَـنة .. ففـي " صـحيح مسـلم " (١٩٠) عـن أبي ذرٍّ ، قـال : قـال رسـولُ الله ﷺ : " إنِّي لأعلمُ آخِرَ أهلِ الجنة دخولاً الجنة ، وآخرَ أهلِ النّار خروجاً منها : رجلٌ يُؤْتَى به يَوْمَ القيامة ، فيقال : اعْرِضوا عليه صِغَارَ ذنوبِه ، وارْفَعوا عنه كِبَارها ، فَتُعْرَضُ عليه صِغَارُ ذُنوبه ، فيقال : عَمِلْتَ يَوْمَ كذا وكذا ، كذا وكذا ، وعملت يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ؟

(١) " تفسير القرطبي " (١٣/ ٧٧) .

فيقول : نعم ، لا يستطيعُ أن يُنْكِرَ ، وهو مُشْفِقٌ في كِبارِ ذنوبه أن تُعْرَضَ عليه ، فَيُقَالُ له : فإن لك مكانَ كلِّ سيئة حَسَنة ، فيقول : يا رَبِّ قد عَمِلْتُ أشياءَ لا أراها ها هنا " ؛ فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضَحِكَ حتى بدت نَوَاجِذُه [١] .

وقال أبو الطويل – رجلٌ من كندة ، يُعْرَف بـ : شَطْب المَمْدُود – : يا رسول الله ، أرأيتَ رَجُلاً عَمِلَ الذنوب كلَّها ، ولم يتركْ منها شيئاً ، وهو في ذلك لم يَتْرُكْ حَاجَةً ولا داجَةً إلّا اقتطعها فهل له من توبة ؟ . قال : " هل أسلمتَ ؟ " ، قال : أنا أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنك عبد الله ورسوله . قال : " نعم . تَفْعَلُ الخَيْرات ، وتتركُ السيئات ، يَجْعَلهنّ اللهُ كُلَّهنَّ خَيْرات " . قال : وَغَدَراتي ، وَفَجَراتي يا نَبِيَّ الله ؟ قال : " نعم " [٢] . قال : " الله أكبر ! " ، فما زَالَ يُكَرِّرها حتى توارى [٣] [٤] . انتهى كلامه .

(١) النواجذ : أقصى الأضراس في آخر الحنك .

(٢) وهذا الحديث أصرح في الدلالة من حديث مسلم الذي قبله ؛ والله أعلم .

(٣) اختفى عن الأعين .

(٤) إسناده جيد : رواه الطبراني في " الكبير " (٧٢٣٥) ، وغيره .

تحقيق قيم للإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – في " مدارج السالكين " (١/ ٣٠١-٣٠٤) : " قولُ الله تعالى ذكره : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان:٧٠]

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبِشَارَةِ لِلتَّائِبِينَ إِذَا اقْتَرَنَ بِتَوْبَتِهِمْ إِيمَانٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ، وَهُوَ حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ .

وَاخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ هَذَا التَّبْدِيلِ، وَهَلْ هُوَ فِي الدُّنْيَا، أَوْ فِي الْآخِرَةِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَصْحَابُهُ: هُوَ تَبْدِيلُهُمْ بِقَبَائِحِ أَعْمَالِهِمْ مَحَاسِنَهَا، فَبَدَّلَهُمْ بِالشِّرْكِ إِيمَانًا، وَبِالزِّنَا عِفَّةً وَإِحْصَانًا، وَبِالْكَذِبِ صِدْقًا، وَبِالْخِيَانَةِ أَمَانَةً.

فَعَلَى هَذَا مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ صِفَاتِهِمُ الْقَبِيحَةَ، وَأَعْمَالَهُمُ السَّيِّئَةَ، بُدِّلُوا عِوَضَهَا صِفَاتٍ جَمِيلَةً، وَأَعْمَالًا صَالِحَةً، كَمَا يُبَدَّلُ الْمَرِيضُ بِالْمَرَضِ صِحَّةً، وَالْمُبْتَلَى بِبَلَائِهِ عَافِيَةً.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَغَيْرُهُ مِنَ التَّابِعِينَ: هُوَ تَبْدِيلُ اللهَّ سَيِّئَاتِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا بِحَسَنَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُعْطِيهِمْ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً.

وَاحْتَجَّ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ بِمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ رَجُلٍ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ، يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَيُخَبَّأُ عَنْهُ كِبَارُهَا، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ مُقِرٌّ لَا يُنْكِرُ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِهَا، فَيُقَالُ: أَعْطُوهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمِلَهَا حَسَنَةً، فَيَقُولُ: إِنَّ لِي ذُنُوبًا مَا أَرَاهَا

هَاهُنَا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ» .

فَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَلَكِنْ فِي الِاسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ نَظَرٌ، فَإِنَّ هَذَا قَدْ عُذِّبَ بِسَيِّئَاتِهِ وَدَخَلَ بِهَا النَّارَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَأُعْطِيَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، صَدَقَةً تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ ابْتِدَاءً بِعَدَدِ ذُنُوبِهِ، وَلَيْسَ فِي هَذَا تَبْدِيلُ تِلْكَ الذُّنُوبِ بِحَسَنَاتٍ، إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا عُوقِبَ عَلَيْهَا كَمَا لَمْ يُعَاقَبِ التَّائِبُ، وَالْكَلَامُ إِنَّمَا هُوَ فِي تَائِبٍ أُثْبِتَ لَهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةٌ، فَزَادَتْ حَسَنَاتُهُ، فَأَيْنَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؟

وَالنَّاسُ اسْتَقْبَلُوا هَذَا الْحَدِيثَ مُسْتَدِلِّينَ بِهِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا فِيهِ، لَكِنْ لِلسَّلَفِ غَوْرٌ وَدِقَّةُ فَهْمٍ لَا يُدْرِكُهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ.

فَالِاسْتِدْلَالُ بِهِ صَحِيحٌ، بَعْدَ تَمْهِيدِ قَاعِدَةٍ، إِذَا عُرِفَتْ عُرِفَ لُطْفُ الِاسْتِدْلَالِ بِهِ وَدِقَّتِهِ، وَهِيَ أَنَّ الذَّنْبَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَثَرٍ، وَأَثَرُهُ يَرْتَفِعُ

بِالتَّوْبَةِ تَارَةً، وَبِالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ تَارَةً، وَبِالْمَصَائِبِ الْمُكَفِّرَةِ تَارَةً، وَبِدُخُولِ النَّارِ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ أَثَرِهِ تَارَةً، وَكَذَلِكَ إِذَا اشْتَدَّ أَثَرُهُ، وَلَمْ تَقْوَ تِلْكَ الْأُمُورُ عَلَى مَحْوِهِ، فَلَا بُدَّ إِذًا مِنْ دُخُولِ النَّارِ لِأَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَكُونُ فِيهَا ذَرَّةٌ مِنَ الْخَبِيثِ، وَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ طَابَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَإِذَا بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ خُبْثِ الذُّنُوبِ أُدْخِلَ كِيرَ الِامْتِحَانِ، لِيُخَلِّصَ ذَهَبَ إِيمَانِهِ مِنْ خُبْثِهِ، فَيَصْلُحُ حِينَئِذٍ لِدَارِ الْمُلْكِ.

إِذَا عُلِمَ هَذَا فَزَوَالُ مُوجَبِ الذَّنْبِ وَأَثَرُهُ تَارَةً يَكُونُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَهِيَ أَقْوَى الْأَسْبَابِ، وَتَارَةً يَكُونُ بِاسْتِيفَاءِ الْحَقِّ مِنْهُ وَتَطْهِيرِهِ فِي النَّارِ، فَإِذَا تَطَهَّرَ بِالنَّارِ، وَزَالَ أَثَرُ الْوَسَخِ وَالْخُبْثِ عَنْهُ، أُعْطِيَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَإِذَا تَطَهَّرَ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَزَالَ عَنْه بِهَا أَثَرُ وَسَخِ الذُّنُوبِ وَخُبْثِهَا، كَانَ أَوْلَى بِأَنْ يُعْطَى مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، لِأَنَّ إِزَالَةَ التَّوْبَةِ لِهَذَا الْوَسَخِ وَالْخُبْثِ أَعْظَمُ مِنْ إِزَالَةِ النَّارِ، وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ، وَإِزَالَةُ النَّارِ بَدَلٌ مِنْهَا، وَهِيَ الْأَصْلُ، فَهِيَ أَوْلَى بِالتَّبْدِيلِ مِمَّا بَعْدَ الدُّخُولِ، يُوَضِّحُهُ:

الْوَجْهُ التَّاسِعُ: وَهُوَ أَنَّ التَّائِبَ قَدْ بُدِّلَ كُلَّ سَيِّئَةٍ بِنَدَمِهِ عَلَيْهَا حَسَنَةً، إِذْ هُوَ تَوْبَةُ تِلْكَ السَّيِّئَةِ، وَالنَّدَمُ تَوْبَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ حَسَنَةٌ، فَصَارَ كُلُّ ذَنْبٍ عَمِلَهُ زَائِلًا بِالتَّوْبَةِ الَّتِي حَلَّتْ مَحَلَّهُ وَهِيَ حَسَنَةٌ، فَصَارَ لَهُ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةٌ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، فَتَأَمَّلْهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَلْطَفِ الْوُجُوهِ.

وَعَلَى هَذَا فَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْحَسَنَةُ مُسَاوِيَةً فِي الْقَدْرِ لِتِلْكَ السَّيِّئَةِ، وَقَدْ تَكُونُ دُونَهَا، وَقَدْ تَكُونُ فَوْقَهَا، وَهَذَا بِحَسَبِ نُصْحِ هَذِهِ التَّوْبَةِ، وَصِدْقِ التَّائِبِ فِيهَا، وَمَا يَقْتَرِنُ بِهَا مِنْ عَمَلِ الْقَلْبِ الَّذِي تَزِيدُ مَصْلَحَتُهُ وَنَفْعُهُ عَلَى مَفْسَدَةِ تِلْكَ السَّيِّئَةِ، وَهَذَا مِنْ أَسْرَارِ مَسَائِلِ التَّوْبَةِ وَلَطَائِفِهَا، يُوَضِّحُهُ:

الْوَجْهُ الْعَاشِرُ: أَنَّ ذَنْبَ الْعَارِفِ بِاللهِ وَبِأَمْرِهِ قَدْ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ حَسَنَاتٌ أَكْبَرُ مِنْهُ وَأَكْثَرُ، وَأَعْظَمُ نَفْعًا، وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ عِصْمَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ مَنْ ذُلٍّ وَانْكِسَارٍ وَخَشْيَةٍ، وَإِنَابَةٍ وَنَدَمٍ، وَتَدَارُكٍ بِمُرَاغَمَةِ الْعَدُوِّ بِحَسَنَةٍ أَوْ حَسَنَاتٍ أَعْظَمَ مِنْهُ، حَتَّى يَقُولَ

الشَّيْطَانُ: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوقِعْهُ فِيمَا أَوْقَعْتُهُ فيه ، ويندم الشيطان على إيقاعه في الذَّنب كندامة فَاعِلِهِ عَلَى ارْتِكَابِهِ، لَكِنْ شَتَّانَ مَا بَيْنَ النَّدَمَيْنِ، وَاللهُ تَعَالَى يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ مُرَاغَمَةَ عَدُوِّهِ وَغَيْظَهُ، كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّ هَذَا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ أَسْرَارِ التَّوْبَةِ، فَيَحْصُلُ مِنَ الْعَبْدِ مُرَاغَمَةُ الْعَدُوِّ بِالتَّوْبَةِ وَالتَّدَارُكِ، وَحُصُولُ مَحْبُوبِ اللهِ مِنَ التَّوْبَةِ، وَمَا يَتْبَعُهَا مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَالِ هُنَا، مَا يُوجِبُ جَعْلَ مَكَانِ السَّيِّئَةِ حَسَنَةً بَلْ حَسَنَاتٍ.

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ: ﴿ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ [الفرقان: ٧٠] وَلَمْ يَقُلْ مَكَانَ كُلِّ وَاحِدَةٍ وَاحِدَةً فَهَذَا يَجُوزُ أَنْ يُبَدِّلَ السَّيِّئَةَ الْوَاحِدَةَ بِعِدَّةِ حَسَنَاتٍ بِحَسَبِ حَالِ الْمُبَدَّلِ.

وَأَمَّا فِي الْحَدِيثِ فَإِنَّ الَّذِي عُذِّبَ عَلَى ذُنُوبِهِ لَمْ يُبَدَّلْهَا فِي الدُّنْيَا بِحَسَنَاتٍ مِنَ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَتَوَابِعِهَا، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَجْعَلُ مَكَانَ السَّيِّئَةِ حَسَنَاتٍ، فَأُعْطَيَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً وَاحِدَةً، وَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ، وَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا ضَحِكَ، وَلَمْ يُبَيِّنْ مَا يَفْعَلُ اللهُ بِهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّ اللهَ يُبَدِّلُ مَكَانَ كُلِّ صَغِيرَةٍ حَسَنَةً،

وَلَكِنْ فِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ إِلَى أَنَّ هَذَا التَّبْدِيلَ يَعُمُّ كِبَارَهَا وَصِغَارَهَا مِنْ **وَجْهَيْنِ**:

أَحَدُهُمَا: قَوْلُهُ: أَخْبِئُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَهَذَا إِشْعَارٌ بِأَنَّهُ إِذَا رَأَى تَبْدِيلَ الصَّغَائِرِ ذَكَرَهَا وَطَمِعَ فِي تَبْدِيلِهَا، فَيَكُونُ تَبْدِيلُهَا أَعْظَمَ مَوْقِعًا عِنْدَهُ مِنْ تَبْدِيلِ الصَّغَائِرِ، وَهُوَ بِهِ أَشَدُّ فَرَحًا وَاغْتِبَاطًا.

وَالثَّانِي: ضَحِكُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ ذِكْرِ ذَلِكَ، وَهَذَا الضَّحِكُ مُشْعِرٌ بِالتَّعَجُّبِ مِمَّا يُفْعَلُ بِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَمَا يُقِرُّ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقَرَّرَ عَلَيْهَا وَلَا يُسْأَلَ عَنْهَا، وَإِنَّمَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّغَائِرُ.

فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَجْوَدُ الْأَجْوَدِينَ، وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، الْبَرُّ اللَّطِيفُ، الْمُتَوَدِّدُ إِلَى عِبَادِهِ بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، وَإِيصَالِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ بِكُلِّ نَوْعٍ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. انتهى كلامه .

وقولُ الله تعالى : ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان:٧١] ، " ونهايتها : الرجوع إليه في المعاد . وسلوك صراطه

الذي نَصَبَهُ موصلاً إلى جَنَّته . فمن رَجَع إلى الله في هذه الدار بالتوبة : رَجَع إليه في المعاد بالثواب .

وهذا هو أَحَدُ التأْوِيلات في قولهِ تعالى : ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان:٧١] .

قال البغويُّ وغيرُه : ﴿ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا ﴾ يعودُ إليه بعد الموت ، مَتَاباً حسناً يفضل عن غيره .

فالتوبة الأولى : وهي قولُه : " ومن تاب " : – رجوعٌ عن الشِّرْك .

والثانية : رجوعٌ إلى الله للجزاء والمكافأة " [1] .

فهيَّا – **يا أخي** – إلى التوبة النصوح ؛ فالفرصة لا تزال أمامك .

يا مَنْ عَدَى ثم اعْتَدَى ثم اقْتَرَفْ

ثم انتهى ثم ارْعَوَى ثم اعْتَرَفْ

أَبْشِرْ بقولِ اللهِ في آياتِه

إن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لهم ما قَدْ سَلَف

(١) انظر : " مدارج السالكين " (١/ ٣١٤) .

الصِّفَة التاسعة

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾

قال الإمام ابن عطية – رحمه الله – في " المحرَّر الوجيز " (٤/ ٢٥٤) : " ثم استمرت الآيات في وصف عباد الرحمن بأن نفى عنهم : شهادة الزّور و " **يشهدون** " – في هذا الموضع – ظاهر معناها : يُشَاهِدُون وَيحْضِرُون و " **الزور** " : كلُّ باطل زور ، فأعْظَمُه : الشِّركُ ، وبه فسَّر الضحّاك ومنه : الكَذِب ، وبه فسَّر ابْنُ جُريج : ومنه الغِنَاء ، وبه فسَّر مجاهد .

وقال عليُّ بن أبي طالب : المعنى : لا يَشْهَدُون بالزّور ، فهو من الشَّهادة لا من المُشَاهدة ، والزّور : الكذب .

والشاهد بالزّور ؛ حَاضِرُهُ ومؤدِّيه : فَجَرةٌ . فالمعنى الأول : أعمّ . ولكن المعنى الثاني : أغرق في المعاصي وَأَنْكَى " انتهى كلامه .

وقال ابن كثير – رحمه الله – : " والأظهر من السِّياق : أن المراد : لا يَحْضُرون الزّور " ا.هـ.

وقال أبو السعود في " تفسيره " : " لا يقيمون الشهادة الكاذبة ، أو لا يحضرون محاضر الكذب ، فإن مشاهدة الباطل مشاركة فيه " انتهى كلامه .

قال ابن مسعود ﷺ : " عَدَلَتْ شهادةُ الزُّور : الشِّركَ بالله " ، وقرأ : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [الحج:٣٠] (١)

أخي الحبيب :

" وكيف يَشْهَدُ – عبادُ الرحمن – شهادَة الزور ، وهي شهادةٌ كاذبة ، من شأنها أن تُغيِّر وَجْهَ الحَقِّ ؟ .

كيف يَشْهَدُ – عبادُ الرحمن – شهادَة الزور ، وهي في حياة الناس نوعٌ خطير من الكذب ، شديد القُبْحِ ، سيِّء الأثر ؟

(١) حسن : رواه الطبراني .

إن الأصل في الشهادة أن تكون سَنَداً لجانب الحَقِّ، وَمُعِينَةً للقضاء على إقامة العدل، والحكم على الجناة الذين تنحرف بهم أهواؤهم وشهواتُهم، فَيَظْلِمُون أو يَبْغُون، أو يأكلون أموالَ الناس بالباطل، فإذا تحولت الشهادةُ عن وظيفتها، فكانت سَنَداً للباطل، وَمُضَلِّلة للقضاء، حتى يَحْكُمَ بغيرِ الحَقِّ،استناداً إلى ما تضمَّنته من إثبات أو نفي ، فإنها تحمل حينئذ إثم **جريمتين كُبْرَيَيْن** في آن واحد.

الجريمة الأولى : عَدَمُ تأديتها وظيفتها الطبيعية الأولى ؛ وهي من هذه الناحية أسوأ حالاً من كتمان الشهادة .

الجريمة الثانية : قِيامُها بجريمةٍ، تُهْضَم فيها الحقوق ، وَيُظْلَمُ فيها البرآء، وَيُسْتَعانُ بها على الإثم والبغي والعدوان .

فهي في هذا كالقاضي الذي بيده سلطة القضاء ليحكُمَ بالعدل ، فيحكمُ بالجَور والظلم والعدوان ، وينصرُ الظالم على المظلوم ، ويشدُّ عضُدَ الباغي ، اتباعاً للهوى ، أو طمعاً بعرَضٍ من

أعراض الحياة الدنيا ، أو تأثُّراً بقرابة ، أو استجابةً لشهوة ، أو تلبيةً لرغبةِ ذي سلطان ، أو ذي وجاهةٍ في قومه .

وهي في هذا أيضاً كالمُسْتأمَن الذي يَخُونُ من اسْتأْمَنَه .

إنَّ الجريمة في كلِّ ذلك بِجَرِيمتين ، والظُّلْمَ بِظُلْمَيْن ، ولكلٍّ من أصحاب هذه الجرائم كِفْلانِ من العقاب " [1] .

الصِّفَةُ العَاشِرة

﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾

قولُه تعالى – في وصف عباد الرحمن – : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا ﴾ يعني : على طريقِ الاتِّفاق ، لا القَصْد . ﴿ بِاللَّغْوِ ﴾ أي : ما يجب أن يُلْغَى ويُطْرَحَ مِمّا لا خَيْرَ فيه .

وقال الحسن : " اللّغو : المعاصي كلّها " [2] .

وقال الشنقيطي في " أضواء البيان " : " اللّغو : هو كل كلامٍ لا خَيْرَ فيه " ا.هـ.

---

(١) " صفات عباد الرحمن " للميداني (٨٧-٨٨) .

(٢) قال القرطبيُّ – رحمه الله – : " وهذا القول جامع " ا.هـ.

﴿ مَـرُّوا كِرَامًـا ﴾ أي : مُعْرِضـين عنـه ؛ مُكْـرِمِين أنفسـهم عـن الوقوف عليه ، والخوض فيه .

قال البيضاوي في " تفسيره " (٢/ ١٩٤) : " ومن ذلك : الإغضاءُ عن الفواحش ، والصَّفحُ عن الذنوب ، والكنايـةُ عـمّا يُسْـتَهجَنُ التَّصْرِيحُ به " .

وقال ابن عطية في " تفسيره " (٤/ ٢٥٤) : " اللّغو : كلُّ سقط من فِعْلٍ أو قولٍ يدخل فيه الغناءُ واللهـو وغـيرُ ذلـك ، ويَـدْخُل في ذلك : سَفَه المشركين ، وأذاهم للمؤمنين ، وَذِكْرُ النِّسـاء ، وغـيرُ ذَلِكَ من المُنْكَر " انتهى كلامه .

أخي المسلم :

إن عباد الرحمن يدركون قيمةَ الوقت ، ويعلمون أن الزمن الـذي يمرُّ عليهم هـو رأسُ مَـالِهم في هـذه الحيـاة .. لـذا لا يسـمحون لأوقاتهم أن تَضيعَ فيما لا يَعُود عليهم بالنفع في دنياهم وعقباهم. إنهم يسابقون الزَّمن .

وما أحْلى قَول أبي محمد عبد الحق الإشبيليّ وأوعظه حين قال [١]:

إن في الموتِ والمُعَادِ لَشُغْلاً

وادِّكاراً لِذي النُّهى وَبَلاغاً

فاغْتَنِم خُطَّتَيْنِ قَبْلَ المَنَايا

صِحّةَ الجِسم يا أخي والفَراغا

وقولُه هذا ، مُنْتَزَعٌ من قولِ النبيِّ ﷺ : " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فيهما كثيرٌ من الناس : الصّحةُ والفَرَاغ " [٢] .

قال المُنَاوِيُّ – رحمه الله – : " قوله : " نعمتان مغبون فيهما " أي : من لا يستعملهما فيما يَنْبَغِي ، فقد غُبِنَ ولم يُحْمَدْ رأيه . " كثير من الناس : الصّحةُ والفراغ " من الشواغل الدنيوية المانعة للعبد عن الاشتغال بالأمور الأخروية ....

---

(١) " سير أعلام النبلاء " (٢١/ ٢٠١) .

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٩) ، وغيره .

شبّه المكلَّف بالتاجر ، والصِّحة والفراغ برأس المال لكونهما من أسباب الأرباح ، ومقدّمات النّجاح ، فَمَن عَامَلَ اللهَ – تعالى – بامتثالِ أوامره : رَبِحَ ، ومن عامل الشيطان باتِّبَاعه : ضَيَّع رأس مَاله " ا.هـ. (١).

وقال رسول الله ﷺ : " اغْتَنِمْ خَمْسَاً قَبْلَ خَمْسٍ : حَياتَكَ قبل موتِك ، وصحتكَ قَبْلَ سَقمِك ، وفَراغَك قَبْلَ شُغْلِك ، وشبابكَ قبل هَرَمِك ، وغناك قَبْلَ فَقْرِك " (٢).

قال المُنَاوِيُّ – رحمه الله – :

" قوله : " اغتنم خمساً قبل خمس " أي : افعل خمسَةَ أشياء قبل حصول خمسة أشياءٍ : " حياتك قبل موتك " يعني : اغتنم ما تَلْقَى نَفْعه بعد موتك ، فإن من مات انقطع عَمَلُهُ ، وفاتَه أَمَلُه ، وحقَّ نَدَمُهُ ، وتوالى همُّه ، فاقْتَرِضْ منك لك .

" صحتك قبل سَقَمِك " أي : اغتنم العملَ حال الصِّحّةِ فقد يَمْنَعُ مَانِعٌ كمرض ، فَتَقْدُمَ المَعادَ بغير زاد .

(١) " فيض القدير " (٨/ ٣٨٣) .

(٢) صحيح : رواه الحاكم ، والبيهقي في " الشعب " ، وغيرهما ؛ وصححه الألباني .

" فراغك قبل شغلك " أي : اغتنم فراغَك في هذه الدار قبل شغلك بأهوالِ القيامة ، التي أوّلُ منازلها : القبر ، فاغتنم فرصة الإمكان ، لعلّك تسلَمُ من العذاب والهوان .

" وشبابك قبل هَرَمك " أي : اغتنم الطاعةَ حالَ قدرتِك قبل هجوم عَجْزِ الكِبَر عليك ، فتندم على ما فرّطتَ في جَنْب الله .

" وغناك قَبْلَ فقرك " أي : اغتنم التَّصَدّق بفضول مالكَ قبل عروض جائحة تفقرك ، فتصير فقيراً في الدنيا والآخرة ، فهذه الخمسة لا يُعْرَفُ قَدْرُها إلّا بعد زَوَالِها " انتهى كلامه [1].

فيا أخا الإسلام :

أَقْبِلْ على ربِّك : وَتُبْ إليه مِنْ ذَنْبك ؛ واسمع إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ وهو يقول :

إذا هَبَّتْ رياحُك فاغتَنِمْها ... فإن لكلِّ خافِقةٍ سُكُونُ

ولا تغفل عَن الإحسانِ فيها ... فما تدري السكونُ مَتَى يكونُ [2]

---

(١) " فيض القدير " (٢/ ٢٤٢) .

(٢) " ديوانه " (٩٢) .

الصِّفَةُ الحاديةَ عشرة

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾

قوله تعالى – في وصف عباد الرحمن – : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ أي : وُعِظُوا بالقرآن . بآياتِ ربِّهم : المنطوية على المواعظ والأحكام .

﴿ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ أي ؛ بل كبّوا عليها سامعين بآذانٍ واعية ، مُبْصِرينَ بعيونٍ راعية ؛ بخلافِ أصحاب القلوبِ القاسية .

قال ابْنُ عائشة [1] :

إذا قَسَا القلبُ لم تَنْفَعْه مَوْعِظَةٌ كالأرض إنْ سَبِخَتْ لم يَنْفَعِ المَطَرُ

وقرأ الحسنُ البصريُّ – رحمه الله – هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ ، ثم قال : " كم من رجلٍ يقرؤها ، ويخرُّ عليها أصمُّ أَعْمَى " .

(١) " جامع بيان العلم " لابن عبد البر (٢/ ٨) .

وقال البغويُّ – رحمه الله – في " تفسيره " : " قوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا ﴾ أي : لم يَقَعوا ولم يَسْقُطُوا ﴿ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ ، كأنهم صمٌّ عُمي ، بل يسمعون ما يُذكَّرون به ، فيفهمونه وَيَرَوْنَ الحقَّ فيه فيتَّبعونه . قال القتيبي : " لم يتغافلوا عنها كأنهم صُمٌّ لم يَسْمَعُوها ، وَعُمْيٌ لم يَرَوْها " انتهى كلامه .

الصِّفَةُ الثانية عَشَرة

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

قوله تعالى : ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ أي : مطيعين لك . والمراد : الفرح والسّرور بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل ، فإن المؤمن يُسَرُّ قلْبُه بطاعةِ أهلهِ وأولادهِ لربِّهم ، لِيَلْحَقُوا به في الجنة .

قال محمد بن كعبٍ القُرَظِيُّ – رحمه الله – : " ليس شيءٌ أقرّ لِعَيْنِ المؤمنِ من أن يَرَىَ زوجتَه وَأولادَه مطيعين لله ﷻ " [1] .

---

(١) " تفسير البغوي " (٩٣٤) .

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : " يَعْنُون مَنْ يَعْملُ بطاعةِ الله ، فَتَقَرّ به أَعْيُنُهُم في الدنيا والآخرة " .

وقال عكرمة : " لم يريدوا بذلك صَبَاحةً ولا جَمَالاً ، ولكن أرادوا أن يكونوا مُطيعين " .

وقال ابن كثير في " تفسيره " : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ أي : هُداةً مُهْتَدين ، دعاةً إلى الخير ، فَأَحَبُّوا أن تكون عبادتُهُم مُتَّصِلَةً بعبادةِ أولادهم وذريّاتهم ... وذلك أكثر ثواباً ، وأحسن مآباً " . انتهى كلامه .

وقال البغويُّ : " ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ يعني : أئمّةً يقتدون في الخير بنا " .

وقال غيرهُ : أي : أئمّة في الخير ، يقتدون بنا في أمر الدِّين ، بإفاضة العلم والتوفيق للعمل .

وقال إبراهيمُ النَّخَعِيُّ – رحمه الله – : " لم يطلبوا الرِّياسة [1] ، بل بأن يكونوا قدوةً في الدين [2] .

(١) يعني : في الدنيا .

(٢) " تفسير القرطبي " .

وفي " العجائب " للْكِرْمَانيّ : قال القفّالُ وغيرُه من المفسِّرين : " في الآية دليل على أن طلب الرياسَة في " الدِّين " واجب [١] .

قلت : يعني : بخلاف طلب الرياسة في الدنيا ؛ فقد ورد النَّهيُ عن طلبها .

هذا ؛ ومع الدّعاء بما تقدّم ؛ بذلُ المجهود في حُسْنِ تربية الأولاد ؛ فهذا من الواجبات ؛ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ... ﴾ الآية [التَّحريم:٦]

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في " تفسيره " : " قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ ، قيل في معناها : أدِّبوهم ، وعلّموهم . وقيل : يأمُرُهم بطاعة الله ، وينهاهم عن معصية الله ، وأن يقومَ عليهم بأمرِ اللهِ ويأمرُهم به ، وَيُسَاعِدُهم عليه ، فإذا رأيتَ لله معصيةً ردعْتَهم عنها ، وزجرتَهم عنها "

انتهى كلامه .

---

(١) " محاسن التأويل " للقاسمي .

وقال أبو حامد الغزالي – غفر الله له – : " الصّبيُّ أمانةً عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرةٌ نفيسة ، فإن عُوِّد الخيرَ وَعُلِّمَهُ ، نشأ عليه ، وَسَعِدَ في الدنيا والآخرة ، وإن عُوِّدَ الشّرِّ ، وأُهْمِلَ إهمالَ البهائم ، شَقِيَ وهَلَك ، وصيانَتُه بأن يؤدِّبَهُ ويُهَذِّبَه وَيُعَلِّمَه مَحَاسِنَ الأخلاق " انتهى كلامه .

وبالجملة : فالأدبُ من الوالدين ؛ والصّلاح من الله تعالى .

منازلُ عباد الرحمن في الجنة

قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان:٧٥ ، ٧٦]

قوله : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ إشارة إلى المتَّصفين بما ذُكِر .

قال القرطبيُّ : " وهي إحدى عَشْرة [1] : التواضع ، والحِلْم ، والتهجّد ، والخوف ، وترك الإسراف والإقتار ، والنزاهة عن الشِّرْك والزنى والقتل ، والتوبة ، وتجنب الكذب ، والعفو عن المسيء ، وقبول المواعظ ، والابتهال إلى الله " انتهى كلامه .

(١) ذكرنا اثْنَتي عَشْرة صِفَة ؛ لأننا جعلنا صفة : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان:٧٢] ؛ صِفَتَيْن .

قوله : ﴿ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ ﴾ : كلُّ بِناءٍ مرتفع عال ، والمراد : الدرجة العُلْيَا في الجنة ، أو أعلى مواضعِ الجنة .

وقوله : ﴿ الغُرْفَةَ ﴾ : اسم جنس أُريد به الجَمْع ، كما قال البيضاوي – رحمه الله – .

قوله : ﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ أي : بصبرهم على أمر ربِّهم ، وطاعة نبيِّهم. وقيل : بصبرهم على المشاقِّ من مَضَضِ الطَّاعات ، وَرَفْضِ الشهوات ، وَتَحَمُّل المجاهدات .

قوله : ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا ﴾ أي : في الغرفةَ . ﴿ تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ أي : تُحييهم الملائكةُ وتسلِّم عليهم ، أو : يُحيِّي بَعْضُهم بعضاً ويسلِّم بعضُهم على بعض . وهو دعاءٌ بالتعمير والسَّلامة .

وقال الكَلْبيُّ : " يُحَيِّي بَعْضُهم بعضاً بالسَّلام ، ويرسلُ الربُّ إليهم بالسلام " .

قوله : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أي : مُقيمين فيها من غير موت ؛ لا يَمُوتون فيها ، ولا يَخْرُجون منها . ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ لسلامة أهلها عن الآفات ، وخلودهم فيها أبد الآبدين .

فلهم السّلام ، وعليهم السّلام ، في دار السّلام .

وفي الحديث الشريف : " إن أهل الجنة يَتَرَاءَوْنَ أهلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِم ، كما تَتَرَاءَون الكوكَبَ الدّرِّيِّ الغابر في الأُفُق من المَشْرِق والمغرب ، لتفاضُلِ ما بَيْنَهم " . قالوا : يا رسولَ الله ، تلك منازلُ الأنبياء لا يَبْلُغُها غيرُهم ؟ قال : " بلى ، والذي نفسي بيده ! رجالٌ آمنوا باللهِ وصَدَّقوا المرسلين " [1].

وفي رواية : " بلى ، والذي نفسِي بيده ، وأقوامٌ آمنوا باللهِ ، وصَدَّقوا المرسلين " [2].

أسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم ؛ بفضله وكرمه ورحمته .

---

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه أحمد ؛ وإسناده صحيح .

أخي الحبيب :

وبهذا نكون قد وصلنا إلى الختام ؛ ونسأل اللهَ حُسْنَ الختام والوفاةَ على السنّة والإسلام .

" آمين " . " آمين " . " آمين "

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العاملين

خطها بيمينه / سعد يوسف محمود أبو عزيز

جمهورية مصر العربية

غمرين ـ منوف ـ المنوفية

وكان الفراغ منها : يوم الأربعاء ؛ الموافق

١٥ من شهر رجب ١٤٣٨هـ

١٢ من شهر إبريل ٢٠١٧م

الفهـــرس

مُقَدِّمَةٌ ..... (٢)

صفات عباد الرحمن ..... (٤)

وقفات مع قوله تعالى : ﴿ وعباد الرحمن ﴾ ..... (٥)

الصفة الأولى : ﴿ .. الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا .. ﴾ ..... (١٠)

الصفة الثانية : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ ..... (١٣)

الصفة الثالثة : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ ..... (١٦)

لقطاتٌ من أحوالِ الصّالحين مع ربِّهم في الليل ..... (٢٠)

الصفة الرابعة : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ

إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ .....(٢٢)

الصفة الخامسة : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ

قَوَامًا ﴾ ..... (٢٦)

علاقةُ الآية الكريمة بالاقتصادِ الحديث ..... (٢٨)

الصفة السادسة : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ .. ﴾ ..... (٣٤)

الصفة السابعة : ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ ﴾ ..... (٣٦)

الصفة الثامنة : ﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ ..... (٤١)

وعيدٌ شديد ..... (٤٤)

وعدٌ أكيد ..... (٤٦)

تحقيق قيم للإمام ابن القيم – رحمه الله – ..... (٤٩)

الصفة التاسعة : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ ..... (٥٧)

الصفة العاشرة : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ ..... (٦٠)

الصفة الحادية عشرة : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ ..... (٦٥)

الصفة الثانية عشرة : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ..... (٦٦)

منازل عباد الرحمن في الجنة ..... (٦٩)

الفهرس ..... (٧٣)